وما يختاره فصحاء أهل الأمصار ، فلا تلتفت إلى من قال : يجوز ، فإنا قد سمعناه ، إلا أنا نجيز للأعرابى الذى لا يتخير ، ولا نجيز لأهل الحضرة والفصاحة أن يقولوا (السلام علا كم) ولا (جيت من عندك) (١) .

فهذا النص من الفراء يقرر عموما وجود كثير من ظواهر اللهجات التى سمعها العلماء، وأخذ بهذا السماع كله بعضهم ، وانتقى من ذلك آخرون، وإن كان الجميع على القبول بصورة عامة ، فمثلا فى النص السابق منع الفراء (رأيت رجلان) وهو مما تورده كتب النحو على لغة من يلزم المثنى الألف ، إما إبدال الهمزة عينا فى (أن) والياء ألفا فى (علا كم) وتسهيل الهمزة فى (جئت) وفتح الدال فى (عندك) فهى من ظواهر اللهجات التى يفهم عن الفراء رفضها أو الأخذ بها ، وإن خالفه فى ذلك آخرون .

ولا داعى للإفاضة هنا فى ذكر التفاصيل والنماذج ، فإن ما تستدعيه هذه الفكرة هو متابعة تطور استعمال الفصحى واللهجات متابعة مختصرة تقدم صورة عنها، وقد اتضح أنهما استعملتا معا فى البيئات العربية طوال عصر الاستشهاد الذى انتهى بالقرن الرابع الهجرى ، ومن المهم أن نتبين أيضا ما كانت عليه الحال حين حدثت هذه النهاية .

يفهم من كلام العلماء الذين عاصروا القرن الرابع ، ووصفوا حال اللغة فيه — أدباء أو جغرافيين أو لغويين — أن موجة الفصحى واللهجات استمرت فى غير صالح الفصحى ، اطرادا مع ما سار عليه الأمر من قبل بين الاثنين ، ويبدو أن اللغة الفصحى قد تضاءل نفوذها ، واقتصر مجال هذا النفوذ على شيئين :

---

(١) تكملة إصلاح ما تغلط فيه العامة ص ٥ .